مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية | ISSN: 2437 - 0363 EISSN 2602-6767 | المجلد 11/العدد: 02 (2025)، ص 1120- 1146

# جهود الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في نشر اللغة العربية بإقليم السودان الغربي

# Sheikh Muhammad ibn Abd al-Karim al-Maghili's efforts to spread the Arabic language in the Western Sudan region.

باحزاز مبخوت*

[1] جامعة بلحاج بوشعيب عين تموشنت( الجزائر)، *Email:* mebkhout.bahazaz@univ-temouchent.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2025/08/27 تاريخ القبول: 2025/11/28 تاريخ النشر: 2025/12/10

**ملخص:**

يتناول هذا المقال بالدراسة والتحليل الجهود البارزة التي بذلها الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت. 909هـ/1503م) في نشر اللغة العربية في أقاليم السودان الغربي، باعتباره أحد أبرز أعلام الفكر الإسلامي في الغرب الإسلامي خلال القرن التاسع الهجري. ويُسلّط الضوء على الدور المركزي الذي أدّته حاضرة توات الواقعة في جنوب الجزائر، كمركز علمي وتجاري، في تمكين هذه الجهود وتوسيع نطاق تأثيرها.

وقد أبرزت الدراسة أن المغيلي لم يقتصر دوره على الدعوة الدينية أو الإصلاح السياسي، بل تجاوز ذلك إلى التمكين اللغوي والثقافي للغة العربية في بيئات غير ناطقة بها أصالةً، عبر وسائل متعددة شملت التعليم، التأليف، والإرشاد المباشر للنخب الحاكمة. واعتمد المقال منهجًا تحليليًا تاريخيًا للربط بين السياقات الثقافية والسياسية والدينية التي تحرك فيها المغيلي، مع التركيز على أهمية توات كحلقة وصل بين شمال إفريقيا والسودان الغربي.

توصلت الدراسة إلى أن مشروع المغيلي في نشر العربية كان جزءًا من رؤية شاملة لبناء مجتمع إسلامي موحّد في اللغة والدين، وأن نجاحه ارتبط بعوامل متعددة، منها مركزية توات كمحطة علمية وتجارية، وامتلاكه شبكة علاقات قوية مع السلاطين والعلماء في مناطق نفوذه. كما أوصى المقال بضرورة توسيع البحث في التراث المغاربي الإفريقي لفهم أعمق لمسارات انتقال اللغة العربية والعلوم الإسلامية جنوب الصحراء.

**كلمات مفتاحية:** الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، السودان الغربي، حاضرة توات

**Abstract:**

This article examines and analyzes the remarkable efforts of Sheikh Muhammad ibn Abd al-Karim al-Maghili (d. 909 AH/1503 AD) in spreading the Arabic language in the regions of Western Sudan. He was considered one of the most prominent figures in Islamic

thought in the Islamic West during the ninth century AH. It highlights the central role played by the city of Touat, located in southern Algeria, as a scholarly and commercial center, in enabling these efforts and expanding their influence. The study highlights that al-Maghili's role was not limited to religious advocacy or political reform, but extended to the linguistic and cultural empowerment of the Arabic language in non-native speaking environments, through various means, including education, writing, and direct guidance to the ruling elite. The article adopts a historical analytical approach to connect the cultural, political, and religious contexts in which al-Maghili operated, with a focus on the importance of Touat as a link between North Africa and Western Sudan. The study concluded that Al-Maghili's project to spread Arabic was part of a comprehensive vision to build an Islamic society unified in language and religion. Its success was linked to several factors, including the centrality of Touat as a scientific and commercial center and his strong network of relationships with sultans and scholars in his areas of influence. The article also recommended expanding research into the Maghrebi-African heritage to gain a deeper understanding of the transmission routes of the Arabic language and Islamic sciences south of the Sahara.:

**Keywords:** Sheikh Muhammad ibn Abd al-Karim al-Maghili, Western Sudan, Touat.

*المؤلف المرسل

## 1. مقدمة:

مثّلت منطقة السودان الغربي عبر العصور فضاءً رحباً لتفاعل حضاري وثقافي عميق بين المكونات الإفريقية والإسلامية، وكان للغة العربية، بوصفها لغة القرآن الكريم والعلم والدعوة، حضورٌ بارز في هذا التفاعل. وقد تضافرت عوامل عدّة في نشر العربية وتعزيز مكانتها في هذه المنطقة، من أبرزها جهود العلماء والدعاة الذين حملوا رسالة العلم والدين إلى المجتمعات الإفريقية جنوب الصحراء. ويُعدّ الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت. نحو 909هـ/1503م) من أبرز هؤلاء العلماء الذين أسهموا بجهود فكرية وتربوية ملموسة في ترسيخ دعائم اللغة العربية وتعليمها في أوساط السودان الغربي، لا سيما في ممالك مثل سنغاي وكانو وغيرهما.

وتجدر الإشارة إلى أن الشيخ المغيلي انطلق من منطقة توات الواقعة في أقصى جنوب الجزائر، وهي منطقة عُرفت منذ القرون الوسطى بكونها محطة علمية وروحية وتجارية كبرى على طرق القوافل العابرة للصحراء، ما جعلها صلة وصل ثقافية بين شمال إفريقيا والسودان الغربي. وقد ساهم هذا الامتداد الجغرافي–الثقافي بين توات والسودان الغربي في تهيئة البيئة الملائمة لانتقال العلماء والكتب والمفاهيم، وبالتالي لتعريب تلك الأقاليم وإدماجها في الفضاء العربي الإسلامي، وهو ما مهّد لنجاح جهود المغيلي وتأثيره العميق في تلك الربوع.

تنبع أهمية هذا الموضوع من كونه يتناول جانباً مهماً من جهود المغيلي التي لم تحظَ بالقدر الكافي من الدراسة الأكاديمية، إذ غالباً ما يتم التركيز على جهوده الفقهية والسياسية في مقاومة الظلم وبناء الحكم الرشيد، بينما تظل مساهماته في نشر اللغة العربية وتعميم التعليم العربي الإسلامي في طيّ النسيان أو التهميش. كما أن البحث في هذا الجانب يُسهم في فهم الآليات الثقافية التي أسهمت في تعريب مناطق شاسعة من غرب إفريقيا، ويدعم الجهود الرامية إلى توثيق التراث العربي الإسلامي في القارة السمراء.

تتمثل مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس: ما طبيعة الجهود التي بذلها الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في نشر اللغة العربية في السودان الغربي؟، وما الوسائل التي اعتمدها لتحقيق هذا الهدف، وما مدى أثر تلك الجهود في بيئته العلمية والثقافية؟

ويهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على تلك الجهود عبر تحليل السياق التاريخي والثقافي الذي نشط فيه المغيلي، واستعراض الوسائل التعليمية والدعوية التي استخدمها، وتقدير الأثر الذي أحدثه في تكريس العربية لغةً للعلم والتعليم والدين في المنطقة.

وتكمن حدود الدراسة في التركيز على الفترة التي نشط فيها الشيخ المغيلي خلال القرن التاسع الهجري، وفي النطاق الجغرافي الذي يشمل المراكز الأساسية لنشاطه في السودان الغربي، مع الاعتماد على المصادر التاريخية والرحلية والكتابات المعاصرة ذات الصلة.

بهذا، يسعى هذا المقال إلى إبراز أحد الوجوه المهمّة في مسيرة الشيخ المغيلي، بوصفه علماً من أعلام النهضة العلمية في إفريقيا الإسلامية، وفاعلاً ثقافياً أسهم في نقل العربية من فضائها الجغرافي الأصلي إلى عمق القارة الإفريقية، وجعلها أداةً للتعبير الحضاري والتواصل الديني والفكري.

تُعد جهود الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني من أبرز المحطات التاريخية في مسار التعليم ونشر اللغة العربية في السودان الغربي، حيث أسهمت هذه الجهود في تعزيز التواصل الحضاري بين غرب إفريقيا وحاضرة توات في جنوب الجزائر. وُلِد المغيلي في تلمسان، وبرز كعالم ومصلح اجتماعي وديني في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، في منطقة توات المعروفة حاليا بولاية أدرار في الجنوب الغربي للجزائر، ثم انتقل إلى مناطق متعددة في إفريقيا لنشر تعاليم الإسلام وتعليم اللغة العربية، التي تُعتبر أداةً أساسية لفهم الدين وممارسته بشكل صحيح.

سأحاول في هذه الورقة البحثية الوقوف على جهود الشيخ المغيلي في نشر اللغة العربية على المجتمعات المحلية في السودان الغربي، وما هي الآثار الثقافية والاجتماعية التي نتجت عن هذا التواصل الحضاري. كما يتناول البحث دور الشيخ المغيلي في تأسيس المدارس القرآنية والحلقات العلمية، وكيف ساهمت هذه المؤسسات في إحياء الفكر الإسلامي وتعزيز الهوية الثقافية العربية في تلك المناطق.

تكمن أهمية هذا البحث في كونه يسعى إلى تسليط الضوء على شخصية الشيخ المغيلي ودوره الفعال في نشر اللغة العربية، مما يعكس تأثيره العميق على المجتمعات التي

تفاعل معها. كما يساهم البحث في فهم كيفية تفاعل الثقافات المختلفة في تلك الفترة، وكيف ساعدت اللغة العربية في بناء جسور التواصل بين الشعوب.

ونهدف من خلال هذا إلى:

- تحليل جهود الشيخ المغيلي في تعليم اللغة العربية: دراسة الأساليب التي اتبعها في نشر اللغة العربية في السودان الغربي.

- تقييم تأثير هذه الجهود على المجتمعات المحلية: كيف ساهمت هذه الجهود في تعزيز الهوية الثقافية والدينية.

- استكشاف دور الشيخ في التواصل الحضاري: فهم كيف ساعدت أعماله في بناء علاقات ثقافية بين غرب إفريقيا وحاضرة توات.

ولقد اتبعنا في هذا البحث منهجًا تاريخيًا تحليليًا، حيث جمعنا المعلومات من المصادر التاريخية والكتب التي تناولت حياة الشيخ المغيلي وأعماله. وقمنا بتحليلها لفهم السياق التاريخي والاجتماعي الذي عاش فيه، بالإضافة إلى دراسة تأثيره على المجتمعات التي تفاعل معها.

كل هذا من أجل الإجابة على إشكالية البحث والتي انطلقنا منها للإحاطة بهذا الموضوع والتي كانت كما يلي:

كيف أسهمت جهود الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في تعليم اللغة العربية في السودان الغربي، وما هي الآثار الحضارية والثقافية الناتجة عنها على مستوى التواصل الحضاري والثقافي بين غرب إفريقيا وحاضرة توات؟

من خلال استعراض حياة الشيخ المغيلي وأعماله، يسعى هذا البحث إلى تقديم رؤية شاملة حول تأثيره في نشر اللغة العربية، ودوره كحلقة وصل بين الثقافات المختلفة في غرب إفريقيا، مما يساهم في فهم أعمق للتاريخ الثقافي والديني لهذه المنطقة.

## مولد الشيخ ونشأته

الشيخ الامام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني مولدا التواتي دارا من أعلام القرن التاسع والعاشر هجري الموافق للقرن الخامس عشر ميلادي، يعود نسبه إلى الدوحة النبوية الشريفة، فهو محمد بن عبد الكريم بن محمد بن المغيلي، بن عمر بن مخلوف بن علي بن الحسن بن يحي بن علي بن احمد بن عبد القوي بن العباس بن عطية بن مناد بن السري بن قيس بن أبي بكر مكررة بن عبد الله بن ادريس بن عبد الكامل بن الحسن المثنى السبط بن فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، يعتبر المغيلي من العلماء الربانيين. (مقدم، 2002)

ولد الشيخ المغيلي في مدينة مغيلة التي ينسب لها في عائلة راقية النسب غرب الجزائر، سنة 831هـ-1427م عاش طفولته في تلمسان التي كانت تعيش اضطرابات سياسية وصراعات داخلية بين الأمراء والسلاطين الزيانيين على العرش، وأخرى خارجية تتمثل في غارات الأوربيين المسيحيين من اسبان وبرتغاليين على موانئ هذه الولاية الساحلية المتوسطية.

وفي تلمسان تلقى تعليمه الأول إذ حفظ القران الكريم على يد والده عبد الكريم الذي اشتهر بالعلم والصلاح، والذي علمه أيضا فنون العربية من نحو وصرف وبيبان، كما قرأ عليه أيضا موطأ الامام مالك، وكتاب ابن الحاجب الأصلي، وكان الامام الفقيه محمد بن احمد بن علي بن عيسى المغيلي المشهور بالجلاب التلمساني ت سنة 8857هـ من أهم شيوخ الشيخ بن عبد الكريم بل يعده بعضهم ؟ أولهم والذي حفظ على يديه القران الكريم، وأخذ عنه التفسير والقراءات، وتعلم منه الفقه المالكي، كما يذكر أنه ختم عليه المدونة مرتين ومختصر الشيخ خليل، والفرائض، من مختصر ابن الحاجب ورسالة أبي زيد القيرواني.

"لقد تلقى دراسته الأولى بتلمسان حيث حفظ القرآن على يد السيد أحمد بن عيسى المغيلي التلمساني المعروف بالجلاب، كما اخذ عنه أمهات الكتب الفقهية كالرسالة ومختصر خليل وابن الحاجب وبعض كتب ابن يونس، كما تتلمذ على يد يحي بن يدر وتلربى على يد أبي العباس الوغليسي، فقد أجاد فنون مختلفة، فتفقه في مذهب الامام مالك بن أنس وقد ساعده على التحصيل ذكاء مفرط ونية صالحة ومكارم أخلاق." (مقدم، 2002)

تلقى الشيخ المغيلي العلم عن عدد من العلماء والشيوخ في تلمسان، منهم:

- عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي بن يحيى الحسني أبو يحيى التلمساني** (826 هـ، وقيل 825 هـ)، عالم بالتفسير وحافظ محدث، يُعتبر من أبرز فقهاء المالكية. وقد أثنى عليه أحمد بابا في كتابه *نيل الابتهاج* (ص 171) قائلاً: "بلغ الغاية في العلم والنهاية في المعارف الإلهية وارتقى مراقي الزلفى، ورسخ قدمه في العلم، وناهيك بكلامه في أول سورة الفتح". كما أشار إلى تأثره بمراجعة كلام المفسرين والأفاضل المتأخرين.

- محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الإمام أبو الفضل التلمساني** (ت 845 هـ)، عالم بالتفسير والفقه ومشارك في علوم الأدب والطب والتصوف، وُلد في تلمسان. وقد ذكر السخاوي في *الضوء اللامع* (740/10) أن المغيلي ارتحل في سنة 810 هـ، فأقام بتونس لمدة شهرين قبل أن ينتقل إلى القاهرة حيث حج وعاد إليها، ثم سافر إلى الشام وزار القدس، حيث اجتمع حوله الناس في دمشق عندما علموا بفضله.

انتقل المغيلي بعد ذلك إلى بجاية، حيث تلقى العلم عن كبار علمائها في مجالات التفسير والحديث الشريف والفقه، إذ كانت بجاية آنذاك مركزًا علميًا وثقافيًا بارزًا. وقد استقطبت هذه الحاضرة علماء المشرق لنشر العلم، وأنجبت العديد من العلماء الذين ذاع صيتهم في العالمين العربي والإسلامي.

تلقى المغيلي العلم في بجاية على يد علماء مرموقين، من بينهم:

- الشيخ أحمد بن إبراهيم البجائي** (ت 840 هـ/1434 م)، إمام جليل اشتهر بالتفسير والفقه، وكان من تلامذته المفسر المعروف الثعالبي.

- منصور بن علي عثمان - أبو علي الزواوي المنجلاتي**، فقيه وعالم بارز في بجاية، عُرف بعصبيته ومكانته السياسية. وقد ذكر السخاوي في *الضوء اللامع* أنه توفي في تونس عام 846 هـ.

كما درس المغيلي على يد غيرهم من العلماء، مثل **يحيى بن نذير بن عتيق أبو زكريا التدلسي**، القاضي وكبير فقهاء المالكية، و**أبي العباس الوغليسي**. وقد قام المغيلي بقراءة الصحيحين والسنن وموطأ الإمام مالك، ولم يكتف بما حصل عليه من علوم في تلمسان وبجاية، بل سعى إلى الاستزادة من المعرفة. فتوجه إلى الجزائر حيث التقى بالمفسر المعروف **عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف بن طلحة الثعالبي**، صاحب التفسير المشهور *الجواهر الحسان*، ورافقه ملازمة لصيقة. وقد أعجب الثعالبي بذكاء المغيلي وفطنته، فزوجه ابنته اعترافًا بمكانته العلمية وأدبه.

"وهذا التنقل والترحال لطلب العلم يترجم شخصية المغيلي التواقة لتحصيل شتى أنواع المعارف والعلوم حتى أصبح فقيها مالكيا مفسرا متكلما أشعريا، وعايش المغيلي عصر الضعف من تاريخ دويلات المغرب الإسلامي في القرن التاسع الهجري وأبدى قلقه على الأمة الإسلامية حيث سقطت في عهده غرناطة آخر معاقل المسلمين بالأندلس على يد الأسبان سنة897هـ/1492م، فرحل المغيلي في هذه الظروف الى واحات توات الواقعة بالجنوب الغربي للجزائر، وجرت له بها أحداث مع الشيخ عبد الله العصنوني ت 927هـ حول مسائل فقهية متعلقة في أصلها باليهود، ولما اختلف الفقهاء عليه انتقل المغيلي الى مدينة فاس بالمغرب الأقصى لشرح قضيته ولأجل المناظرة بحضرة السلطان الشيخ بن أبي بكر الوطاسي ثم المريني ت910هـ .(افريقيا، 2023)

## رحلة المغيلي الى أقليم توات

### إقليم توات

إقليم توات هو منطقة جغرافية تقع في الجزء الجنوبي الغربي من الجزائر، ويُعتبر جزءًا من الصحراء الكبرى. تتميز هذه المنطقة بتضاريسها الصحراوية الفريدة، حيث تتواجد فيها الكثبان الرملية الشاهقة والواحات الغنّاء التي تسقى بمياه العيون الفقارات، مما يسهم في دعم الزراعة المحلية. يعود تاريخ توات إلى العصور القديمة، وقد تأثرت بتنوع الثقافات والحضارات، مثل الأمازيغ والعرب، حيث كانت مركزًا تجاريًا حيويًا لتجارة القوافل بين شمال إفريقيا وغربها.

تحد إقليم توات عدة مناطق جغرافية، حيث يحده من الشمال الغربي العرق الغربي الكبير وإقليم قورارة، ومن الشرق هضبة تيديكلت، بينما يحده من الغرب والجنوب عرق شاش. يتكون إقليم توات من عدة مناطق رئيسية، تشمل:

-قورارة: تمتد من تبلكوزة إلى تسابيت.

-توات الوسطى: تمتد من تسابيت إلى رقان.

تيديكلت: تمتد من رقان إلى فقارة الزوى بعين صالح.

-تينزروفت: وهي منطقة أخرى ضمن الإقليم.

تتميز ثقافة توات بغناها وتنوعها، حيث تعكس تأثيرات الأمازيغ والعرب، وتتجلى في الفنون الشعبية مثل الموسيقى التقليدية والرقصات، بالإضافة إلى الحرف اليدوية مثل صناعة الفخار والنسيج. يعتمد اقتصاد توات بشكل كبير على الزراعة، حيث تُزرع فيه أنواع متعددة من المحاصيل مثل التمور والخضروات، كما تُعتبر السياحة مصدرًا مهمًا للدخل. ومع ذلك، تواجه المنطقة تحديات عدة، مثل التصحر وقلة الموارد المائية، مما يؤثر سلبًا على الحياة اليومية للسكان.

بذلك، يبقى إقليم توات منطقة غنية بالتاريخ العريق والثقافة المتنوعة، مما يجعله وجهة جذابة للزوار ومحط اهتمام الباحثين.

قصور توات ومدنها مما اختطه المسلمون، أي أنها من بناء وانشاء المسلمين وهي بذلك لم تفتح صلحا أوعنوة كبعض أراضي وأقاليم المغرب الاسلامي (يحي)

وتضطرب الروايات التاريخية أيضا، في سنة وصول المغيلي الى توات حيث يرى الشيخ امحمد بن المصطفى الرقادي أن الشيخ حل بتوات سنة 865هـ بينما يجعلها الشيخ الحاج محمد باي بلعالم سنة870هـ بينما يجعله صاحب القول البسيط سمة882هـ غير أن الراجح منطقيا هو التاريخ الأأول لأن المغيلي لما حل بأولاد سعيد( شمالي تيميمون) أقام العديد من المنجزات العمرانية التي يستحيل إنجازها في وقت قصير من الزمن، تصدر المغيلي للتعليم في أولاد سعيد، حيث اسهم في تغيير الكثير من المنكرات وخلف العديد من الاثار مثل مسجده الشهير في قصر أولاد هارون ومصلى العيدين في قصر أولاد موسى بأولاد سعيد وكرسيه الشهير الذي نصبه في سوق أولاد سعيد لحل مشاكل الناس مؤسسا بذلك نظام الحسبة في القضاء أخذ خلال هذه الفترة من الشيخ يحي بن يدر ما كان يجهله من علم الفقه، حيث يقول:" حللنا بتوات فوجدناها دار علم وتقى فانتفعوا بنا وانتفعنا بهم."، عاد المغيلي إلى تلمسان لكنه لم يتمكن من الاستقرار بها حيث لاحظ قوة سطوة اليهود على كل مناحي الحياة فخرج من تلمسان قاصدا توات وهو يردد:

تلمسان أرض لا تليق بحالنا ولكن لطف الله نسأل في القضا

وكيف يحب المرء أرضا يسوسها يهود وفجار ومن ليس يرتضى (الرحمان، 2013)

وبغض النظر عن التضارب حول تاريخ دخول الشيخ المغيلي أرض توات إلا أن المتفق عليه أنه في القرن السادس عشر الميلادي، كانت أرض توات تعيش أجواءً من الازدهار العلمي والديني، حيث كانت موطنًا للعلماء والمفكرين. في هذه البيئة الغنية، جاء المغيلي، المصلح الذي وجد في أهل توات علمًا وتقوى، فقال عنهم شهادته المتواترة: " حللنا بتوات فوجدناها دار علم وتقى فانتفعوا بنا وانتفعنا بهم ". هذه الكلمات تعكس اعتزازه

بالمستوى الثقافي والديني الذي وجده، مما حفزه على العمل من أجل تعزيز قيم الإسلام في المنطقة.

أسس المغيلي المصليات في مختلف أنحاء توات، حيث أصبحت هذه الأماكن منابر للعلم والنقاش. انفتح على أهل العلم واستضاف العلماء، مما أتاح فرصة تبادل الأفكار وتعزيز الروابط الاجتماعية. لكنه لم يكن عالمًا يتلقى العلم فحسب، بل كان ناشطًا يسعى لتصحيح المفاهيم والدفاع عن القيم الإسلامية.

أحد أبرز المواقف التي اتخذها المغيلي كان في نازلة يهود توات الشهيرة. فقد رأى أن الفساد الذي أحدثه اليهود في المنطقة يتطلب اتخاذ تدابير حاسمة، فدعا إلى إجلائهم وطردهم من أرض توات. كانت هذه الرؤية تمثل موقفًا صارمًا تجاه ما اعتبره تهديدًا لقيم المجتمع وأمنه.

هذا الرأي خالف رأي قاضي توات، الشيخ العصنوني، الذي اعتبر اليهود أهل ذمة، وبالتالي يستحقون الحماية والاحترام. كان العصنوني يؤمن بأن العيش المشترك ينبغي أن يكون قائمًا على مبادئ التسامح والعدل. هنا، تجسدت الصراعات الفكرية بين رؤية المغيلي الإصلاحية ورؤية القاضي المتسامحة.

تُظهر هذه الأحداث كيف أن المغيلي لم يكن مجرد مصلحٍ عابر، بل كان شخصية تاريخية تحمل رؤية واضحة لمستقبل المجتمع، حيث اعتبر أن الحفاظ على القيم الإسلامية يتطلب أحيانًا اتخاذ قرارات صعبة. ورغم التوتر الذي شهدته الساحة الفكرية في توات، إلا أن النقاشات التي أثارها المغيلي ساهمت في تعزيز الوعي بأهمية الهوية الإسلامية.

لقد ترك المغيلي أثرًا عميقًا في تاريخ توات، حيث ساهم في إحياء القيم وتعزيز الروابط الاجتماعية. أصبح رمزا للصمود والتغيير، مُظهرًا أن المجتمعات القوية هي التي تستند إلى قيمها وتعمل من أجل مستقبلٍ أفضل، حتى وإن تطلب ذلك مواجهة تحديات صعبة.

كان يهود توات يشكلون الطبقة الغنية بين سكان توات، كونوا ثراءهم الفاحش عن طريق المعاملات المحرمة إسلاميا والتجارة غير المشروعة عن طريق الممارسات الاقتصادية المشبوهة، كالربا والاحتكار وجميع وسائل الكسب غير المشروع. وقد أدى هذا التراكم المالي إلى تعزيز نفوذهم على المجتمع المحلي، حيث تمكنوا من السيطرة على زعماء القبائل والقادة، وفرضوا هيمنتهم على الحياة الاجتماعية في القصور التواتية.

وفي هذا السياق، يروي الرحالة الإيطالي "مالفانتي الجنوي" الذي زار المنطقة عام 851هـ/1447م خلال رحلته لاستكشاف طريق الذهب في السودان الغربي ملاحظاته قائلاً: "يتكاثر اليهود هنا، وتسير حياتهم في سلم تحت ظل الرؤساء الذين يدافع كل منهم عن أتباعه ولهذا يتمتع اليهود بحياة سهلة وتسير التجارة بواسطتهم، وهناك الكثير منها يضعون ثقتهم فيهم"...

وقد تجلى نفوذ اليهود في مدينة تمنطيط من خلال قيامهم ببناء كنيس كبير تجاوز في حجمه الحدود المتعارف عليها في البلاد الإسلامية. كما امتد نشاطهم إلى بناء معابد أخرى في واحات توات، حتى بدا الإقليم وكأنه مملكة يهودية مستقلة.

وقد رأى الشيخ المغيلي في هذا التطور تحدياً للهوية الإسلامية وتجاوزاً لمكانة المسلمين، مما دفعه إلى تحمل مسؤولية المواجهة ووضع حد لهذا التمدد. وقد اتسم موقفه بالحزم والإصرار، متجاوزاً البعد الديني إلى موقف شخصي حاد تجاه الوجود اليهودي في المنطقة.

اتخذ المغيلي من توات مقراً دائماً له منذ مغادرته تلمسان عام 870هـ/1465م، وقد نقل عنه قوله: "دخلنا توات فوجدناها ديار علم ومقر أكابر وأعلام، فانتفعنا بهم وانتفعوا بنا لولا ما ابتلينا به من محنة أخباث اليهود لعنهم الله، وقد حمدنا الله جل جلاله على أن أهلكهم على أيدينا".

وقد تلخصت مواقف الشيخ المغيلي من يهود توات في أربع قضايا رئيسية تناولها في مؤلفاته "رسالة إلى كل مسلم ومسلمة" و "ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار".

**رحلة المغيلي للسودان الغربي**

**السودان الغربي:**

لقد أطلقت هذه التسمية على البلدان الواقعة جنوب الصحراء، وقد أرجعها بعضهم إلى لون بشرة سكانها، كما سميت بهذا الاسم المناطق شبه الصحراوية الممتدة من شرق القارة الافريقية الى غربها، فالسودان الغربي جغرافيا يقع غربي افريقيا ويطل على المحيط الاطلنطي غربا وخليج غينيا جنوبا، وشمالا الصحراء الكبرى، أما شرقا خط يكاد (ابراهيم، 2008)

ويضم السودان الغربي حاليا دول: نيجيريا البنين، غانا، ساحل العاج، غامبيا، السينغال. (روكز، 1987)

يعد السودان الغربي واحد من المناطق الأكثر تنوعًا وغنىً ثقافيًا في العالم، حيث شهدت عبر تاريخها الطويل صعود العديد من الممالك التي تركت بصماتها في مجالات السياسة والاقتصاد والدين. من خلال استكشاف تلك الممالك، نكتشف كيف شكلت هذه الحضارات المتنوعة الهوية الثقافية والاجتماعية للمنطقة، وأثرت في مجرى تاريخها. في هذه الفقرة، نتناول أبرز الممالك التي لعبت دورًا محوريًا في تاريخ غرب إفريقيا. فتاريخ غرب إفريقيا هو سجل غني بمماليك ودول لعبت دورًا مهمًا في تشكيل الهوية الثقافية والاجتماعية والسياسية للمنطقة. من خلال استكشاف أبرز هذه المماليك، يمكننا فهم كيف أثرت التجارة والثقافة والدين في تطور المجتمعات عبر العصور.

**مملكة غانا**

اسم غانة او غانا يعود الى لقب كان يلقب به ملوك هذه المملكة كما يقول البكري: وغانة سمت لملوكها ..."وهي كلمة أعجمية. "وغانة كلمة أعجمية لا أعرف لها مشاركا لا من العربية." أسست مملكة غانا في حوالي عام 300م، وازدهرت حتى القرن

الثاني عشر. تعتبر غانا واحدة من أوائل الممالك في غرب إفريقيا، وقد وصلت إلى ذروتها في القرن الحادي عشر. كانت تُعرف بتجارة الذهب، حيث كانت تتحكم في الطرق التجارية التي تربط بين مناطق استخراج الذهب في الغابات الاستوائية والصحاري.

لقد اختلفت الآراء حول تاريخ قيام مملكة غانة حيث أرجع البعض أن القرن الثالث ميلادي هو تاريخ قيامها، اما البعض الاخر أرجع تاريخ قيامها إلى القرن الرابع ميلادي، وكان امتدادها من الصحراء شمالا إلى نهر السينغال جنوبا. (الصاوي، 200)

اعتمد اقتصاد غانا بشكل كبير على التجارة، حيث كانت تُصدر الذهب والملح والعبيد. وقد أسهمت هذه التجارة في زيادة ثروتها ونفوذها. بالإضافة إلى ذلك، كانت غانا مركزًا للتبادل الثقافي، حيث أقامت علاقات تجارية مع التجار العرب، مما أدى إلى تأثيرات إسلامية ملحوظة في المجتمع، بما في ذلك إدخال اللغة العربية.

**مملكة مالي**

ظهرت مملكة مالي، وبلغت ذروتها في القرن الرابع عشر تحت حكم الملك مانسا موسى، بعد تفكك دولة غانا 469هـ 1076 م يُعتبر مانسا موسى أحد أغنى الحكام في التاريخ، حيث ساهمت سياسته الاقتصادية في تعزيز مكانة المملكة على الساحة العالمي استمرت مالي في التجارة بالذهب والملح، حيث كانت تُعد مركزًا رئيسيًا لتجارة هذه السلع. قام مانسا موسى برحلة حج أسطورية إلى مكة في عام 1324 م، مما زاد من شهرة المملكة في العالم الإسلامي. وقد أثرت هذه الرحلة على الاقتصاد المحلي، حيث جلبت الثروات والمعرفة.

ففي عهده أصبحت إمبراطورية قوية واسعت الاتساع مترامية الأطراف تمتد من قاو في الشرق الى المحيط الأطلسي في الغرب مرورا بمدينتي تمبكتو وجنى، ومنطقة فوتا جالون، وفي الشمال امتدت مالي داخل الصحراء مستولية على مناجم الملح والنحاس فيها وصولا حتى مدينة ولاته، اما في الجنوب فلامست مالي حدود نيجيريا. (الدالي، 1999)

اهتم مانسا موسى بالتعليم والثقافة، وأسس جامعة تمبكتو في القرن الرابع عشر، التي أصبحت مركزًا علميًا وثقافيًا عالميًا، attracting scholars from various regions.كما كانت المدينة مركزًا لتعلم العلوم الإسلامية والطب والفلسفة.

**مملكة سنغاي**

نشأت مملكة سنغاي أوسونغاي في القرنين التاسع والعاشر هجري كخلافة لمملكة مالي، وبرزت كأكبر إمبراطورية وقوة سياسية في غرب إفريقيا.

وتعود تسميتها "سنغاي" إلى قبيلة تسكن النيجر (خالدي، 2002) وهناك من يرجع هذا الاسم إلى أصول بربرية " ومن المحتمل أن تكون كلمة سنغاي ذو أصول بربري وهو تحريف لكلمة صنهاجة."[1]تحت حكم الملك سوني علي وولده محمد توراي، توسعت سوغاي بشكل كبير، حيث استولت على العديد من المناطق التجارية الهامة.

احتفظت سنغاي بمراكز تجارية رئيسية مثل غاو، وكانت تعزز التجارة بالملح والذهب، بالإضافة إلى السلع الزراعية. اشتهرت بتجارة القوافل عبر الصحراء، مما زاد من ثروتها ونفوذها.

استمرت سونغاي في تعزيز الثقافة الإسلامية، حيث زارها العديد من العلماء والشعراء. كانت تمبكتو تحت سيطرتها تُعتبر منارة للمعرفة، حيث احتوت على مكتبات ومدارس مشهورة.

**إمبراطورية الفولاني**

ظهرت إمبراطورية الفولاني في عام 1804 م، وكان لها دور بارز في نشر الإسلام وتوحيد القبائل. قاد الفولاني ثورات ضد الحكومات المحلية، مما أدى إلى تأسيس ممالك جديدة مثل إمبراطورية سوكوتو.

[1] مسعود خالدي الجاليات العربية والبربرية في إفريقيا جنوب الصحراء بين القرنين الخامس والعاشر هجريين الحادي عشر والسادس عشر ميلاديين، ص215

اعتمدت الإمبراطورية على الزراعة وتربية المواشي، مما ساعد على تعزيز الاقتصاد المحلي. كما اهتمت الفولاني بالفكر الإسلامي، وأقامت مدارس لتحفيظ القرآن وتعليم العلوم الإسلامية، مما ساهم في تعزيز الهوية الثقافية الإسلامية في المنطقة.

على الرغم من اختلاف هذه الممالك، إلا أن هناك بعض التأثيرات المشتركة:

-الديانة انتشار الإسلام وتأثيره على أنظمة الحكم والثقافة، مما عزز الروابط بين المجتمعات الإسلامية.

-التجارة: الاعتماد على التجارة عبر الصحراء، مما ساهم في ازدهار الاقتصاد وتبادل السلع والثقافات.

-التبادل الثقافي: تأثرت المجتمعات ببعضها البعض من خلال التجارة، مما أدى إلى خلق ثقافة غنية ومتنوعة، لا تزال آثارها واضحة في المجتمعات الحالية.

تلك الممالك كانت حجر الزاوية لتاريخ غرب إفريقيا، حيث لعبت أدوارًا محورية في تشكيل الهوية الثقافية والسياسية والاقتصادية للمنطقة. إن دراسة تاريخ هذه الممالك توفر لنا نظرة عميقة حول التأثيرات المتبادلة بين التجارة، الثقافة، والدين، وتساعدنا في فهم التحديات والفرص التي تواجهها المنطقة اليوم.

**رحلة المغيلي الى السودان الغربي**

تُعَدُّ أرض "أصنغ" المذكورة عند ابن مريم، أو "أقير" كما أشار إليها أحمد بابا التنبكتي، أو "كانو" كما أطلق عليها ابن بطوطة، نقطة البداية لرحلة الإمام المغيلي في غرب إفريقيا. حيث دخل المغيلي إلى تكدة، واجتمع بحاكمها، مُقِيمًا في قرية بين أهلها، حيث بدأ بنشر العلم وممارسة التدريس والوعظ في المساجد.

وخلال رحلته، اكتشف قرية صغيرة في آخر "قسا" من جهة أقدير، حيث وجد مياهًا مالحة غير صالحة للشرب. مما أثار تساؤلاته، فسأل الله أن يجعل مائها شفاءً وأن يبارك في خيراته. كما قام ببناء مسجد في إينولتن شمال شرق أغاديس. ومن بين الذين

حضروا دروسه في تكدة كان الفقيه محمد بن أحمد ابن أبي، المعروف بـ "أيدا أحمد" والعاقب الأسنغي، الذي أشار ابن بطوطة إلى أن الطريق من تكدة إلى توات يستغرق مسيرة حوالي شهر ونصف.

وصل المغيلي إلى إمارة كانو، حيث التقى بحاكمها محمد بن يعقوب، الذي حكم في الفترة ما بين 867هـ و904هـ (1493م - 1499م). توطن المغيلي في كانو، وشيَّد فيها مدرسته المعروفة باسمه "الشيخ المغيلي". وقد راج صيته، فقصده الطلبة من مناطق مختلفة في جنوب إفريقيا وغيرها من الأقطار السودانية. تخرج على يده العديد من المشايخ، وعُرف الفضل لسلطان كانو الذي لم يكن يتخذ قرارًا من الأمور الدينية أو الدنيوية إلا بعد استشارة الإمام المغيلي.

استفاد حاكم كانو من خبرة الإمام المغيلي، حيث اتخذه مستشارًا له في شؤون القضاء والإفتاء خلال الفترة التي قضاها في البلاد. اعتمد الإمام المغيلي في نصح الأمراء وإرشادهم، وقد قدم من خلال رسالته بيانًا واضحًا للمفاهيم الإسلامية التي ينبغي على الحكام والمحكومين الالتزام بها.

انتقل المغيلي إلى إمبراطورية السنغاي الإسلامية، حيث وصل إلى عاصمة غاو والتقى حاكمها الحاج محمد أسكيا، الذي رحب به. اتخذ الحاج محمد الإمام المغيلي مستشارًا له، ووجه له العديد من الأسئلة الهامة. طرح الأمير التحديات الاجتماعية والسياسية والدينية التي كانت تواجهه في بلاد السودان، فأجابه المغيلي بإجابات هامة في رسالة تناولت الفتاوى الإسلامية، مما يدل على علمه التام بأحوال السودان الغربي.

"غير ان الظروف في العقد الاخير من القرن الخامس عشر ميلادي لم تكن تسمح له بالتوجه إلى أراضي سنعاي في عهد الملك (سني علي) الذي كان يضطهد رجال الدين والعلماء فزار الامام امارة كانو سنة 897 هـ الموافق 1492 م و كتسينا في شمال نيجيريا.

لقد اشار بعض المؤرخين ان زيارته لهذه الامارة كان استجابة لدعوة تلقاها من اميرها.

وبعد وفاة (سني علي) سنة 1492م توجه الامام المغيلي الى كوكو حاضرة سنغاي لإعانة أميرها اسكيا محمد على الحكم بمقتضى الشريعة الاسلامية.

لقد شهد الربع الاخير من القرن السادس عشر فترة اصلاحات في بلاد الهوسا بدأها امراء كانو وكتسينا، وزاريا، وقد تزامنت تلك الفترة مع وصول الامام لهذه المناطق.

فقد اشتهر بعلمه وأفكاره الثورية التي انصبت على إصلاح نظم الحكم ومحاربة البدع.

فلقيت آراؤه الثورية قبولا وترحيبا كبيرين في بلاد الهوسا.

فوضع الامام المغيلي لأمير كانو (محمد زنفا) او (رنفا) رسالة شاملة تدور حول شؤون الحكم تحت عنوان (تاج الدين فيما يجب على الملوك))

بين له فيها لمن يعهد الملك وشروط ذلك من النواحي المادية والروحية والدينية، وطلب منه استئصال الفساد بجميع صوره، فطلب الامام من الأمير إعادة تنظيم جهاز الدولة بحيث يكون للأمير مجلس يزوده بالمشورة في الأمور المتعلقة بتسيير شؤون الدولة.

ولم يكتف الأمير بهذا الطلب فطلب من الامام المغيلي وضع رسالة فقهية تدور حول إصلاح الأسواق ومعاملة الرعية بالعدل والميزان دون تمييز. ) مقدم(2002 ,

قام الشيخ المغيلي بدور مهم في تعليم سكان تكدة وإصلاح شؤونهم، مُتبعًا منهجه الذي يقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فقد اتصل بحاكم المدينة، مقدماً له النصيحة والإرشاد، مما ساهم في تعزيز القيم الإسلامية في المجتمع. وقد أشار أحمد بابا إلى هذا الجهد بقوله: "ثم دخل بلاد أمر ودخل بلاد تكدة، واجتمع بصاحبها وأقرأ أهلها وانتفعوا به" (التنبكتي)، مما يدل على تأثير الشيخ الإيجابي على أهل تكدة.

بعد فترة من الزمن في تكدة، انتقل الشيخ إلى كانو، الواقعة في بلاد كانم، حيث استمر في جهوده التعليمية والإصلاحية. قضى الشيخ فترة تقارب السنة في كانو، حيث قام بتعليم الأهالي وإصلاح ما يحتاج إلى تحسين. أنشأ خلالها مسجده المعروف بمسجد "الكرامة"، والذي أصبح مركزًا هامًا للدروس والعلوم الشرعية. من بين الطلاب الذين

حضروا دروسه كان الفقيه محمد بن أحمد بن أبي محمد التازختي المعروف باسم ابن أبي أحمد، والغالب الأصمعي، مما يشير إلى تأثيره العميق في تكوين جيل من العلماء. واصل المغيلي جهوده الإصلاحية بعد "كانو" في بلاد اليوسا، حيث انتقل إلى عدة إمارات. كما يتحدث أحمد بابا فيقول: "ثم دخل بلاد كانو وكشنة -كاسينا- من بلاد السودان واجتمع بصاحب كنو، وانتقاد عليه في أمور السلطنة، وحثه على إتباع الشرع، وأمر بالمعروف ونهي عن منكر، وقرر لهم أحكام الشرع وقواعده" (التنبكتي).

تظهر هذه الفقرة أن الشيخ المغيلي لم يتنقل بين جميع إمارات اليوسا، بل اقتصر على "كانو" و"كتشنة". وقد يبدو أنه لم يلتق بأمير كتشنة، بل اجتمع فقط بأمير "كانو" المعروف بمحمد يعقوب. وقد كتب له رسالة بعنوان "تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين"، حيث أرشده فيها إلى الالتزام بالجادة الإسلامية في حكمه[1]. لقد بذل الشيخ جهودًا كبيرة في الدعوة والإصلاح، واستغرق وقتًا طويلاً لتحقيق ذلك. فقد كان ينتقل من منطقة إلى أخرى لأداء نفس الدور الإصلاحي، مما يدل على إصراره والتزامه بقضايا مجتمعه. ومن "كانو"، انتقل إلى بلاد التكرور حيث كانت دولة سنغاي تعيش أزهى فتراتها تحت حكم الأسقيا محمد الكبير، الذي كان يُعرف باحترامه للعلم والعلماء واستشارتهم في شؤون الحكم.

عندما وصل الإمام المغيلي إلى "غاو"، عاصمة دولة سنغاي، التقى بحاكم الدولة، الأسقيا محمد الكبير. وقد تحادثا في أمور السياسة والحكم، حيث وجه الحاكم العديد من الأسئلة المتعلقة بالقضايا السياسية والاجتماعية والدينية التي تهم سكان البلاد. أجاب المغيلي على هذه الأسئلة برسالة قيمة تناولت مختلف المسائل التي أثارها الحاكم، مما يعكس فقهه الواسع ومعرفته العميقة.

وقد أشار ابن مريم إلى هذا اللقاء بقوله: "ثم ارتحل إلى بلاد التكرور، فوصل إلى بلده غاو، واجتمع بسلطانها الأسقيا محمد، وجرى على طريقته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وألف له تأليفا أجابه فيه عن مسائل".

بعد قضاء فترة في غاو، انتقل الإمام المغيلي إلى تمبكتو، حيث التقى بسيدي عمر الكنتي العقيدي. وقد تناقشا في العلوم الشرعية، فوجد المغيلي الشيخ الكنتي متمكناً في هذه العلوم. ومع ذلك، عندما اختبره في علوم الحقيقة، لم يجده متمكناً. طلب الشيخ سيد عمر الكتب الصحيحة من الإمام المغيلي، الذي وافق على تلبية طلبه، مما يعكس تواضعه ورغبته في نشر العلم.

نظراً لتوطد العلاقة بينهما خلال هذه الفترة، قرر الاثنان التوجه معاً إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج. وفي طريقهما، مرّا على الإمام السيوطي في اسيوط، حيث أكرمهما وتبادلوا الحديث في علم الحديث. هذا اللقاء يعكس الترابط بين العلماء في ذلك الوقت، والدور الذي لعبته هذه اللقاءات في تعزيز العلوم الإسلامية ونشرها. بهذا، يبرز دور الشيخ المغيلي كواحد من الشخصيات البارزة في تاريخ التعليم والإصلاح في الغرب الإفريقي، حيث استطاع أن يؤثر بشكل إيجابي على المجتمعات التي زارها، وأن يترك إرثًا علميًا ودينيًا لا يزال يُذكر حتى اليوم.

يظهر دور الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في السودان الغربي بصورة بارزة من خلال ارتباطه بحُكَّام البلدان التي زارها، حيث سعى لرفع راية الإسلام وتعزيز التعليم. من بين هؤلاء الحكام، كان أسكيا محمد، سلطان مملكة سنغي، الذي استشار الإمام المغيلي في العديد من الأمور المتعلقة بالعادات والتقاليد السائدة في بلاده ومدى توافقها مع الإسلام. وقد قام الإمام المغيلي بتوضيح حكم تلك العادات في رسالة كتبها له، كما استشاره في مسألة الأمم المجاورة من الوثنيين والكفار، موضحًا فضيلة جهادهم في الإسلام. بناءً على هذه المشورة، قام أسكيا محمد بفتح تلك الأمم ونشر الإسلام فيها، بالإضافة إلى إنشاء مراكز لتعليم القرآن والدين واللغة العربية في بعض المدن والقرى النائية.

كما كان للإمام المغيلي تأثير على سلطان كانو محمد رمفا وسلطان كتشنا، حيث كتب لهما فتاوى تتعلق بأمور الدين والسياسة، مما دفعهما للاهتمام بنشر العلم والدين، وزيادة العناية بطلاب العلم، وفتح مدارس جديدة في المدن الكبيرة والقرى.

لم يقتصر تأثير الإمام المغيلي على زمنه، بل امتد أثره لثلاثة قرون بعد رحلته إلى السودان الغربي، حيث تأثر به الشيخ عثمان بن فوديو وأتباعه في تفكيرهم وجهادهم. فقد أخذ الشيخ عثمان برأي الإمام المغيلي في تصنيف من يجب على المسلمين جهادهم، وهم الكافر، والمرتد عن الدين الإسلامي، ومن يدّعي الإسلام ويخلط بينه وبين الوثنية.

عد أن أسس الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي قواعد الشريعة الإسلامية، عمل على توجيه الحكام إلى الالتزام بها ودمجها في المجتمع، كما ساهم في نشر اللغة العربية كلغة للدين والتعليم. قام بتكوين مجموعة من الطلاب في مدينة "كانو" الذين اعتنقوا منهجه في الدعوة إلى الإسلام، مما أسهم في تعزيز قيم الإسلام في المنطقة.

بعد إنجازاته في "كانو"، توجه المغيلي إلى مدينة كتشنا في شمال نيجيريا، حيث قضى فترة من الزمن يدرّس أهلها ويعقد حلقات دراسية في الفقه والقرآن. تأثر السلطان إبراهيم ماجي الثاني بتعاليم المغيلي، حيث نصحه الإمام بشأن ما يحقق صلاح الأمة ويحفظ الدين من الشوائب. كانت هذه الفترة محورية في تعزيز القيم الإسلامية في مجتمع كتشنا.

ثم استمر المغيلي في رحلته إلى بلاد سنغي، حيث وصل إلى عاصمتها مدينة غاو عام 1498م، وكان ذلك في عهد السلطان الحاج أسكيا محمد. استقبل السلطان المغيلي بحفاوة وطلب منه أن يكون مستشارًا له. بدأ المغيلي في توجيه السلطان من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأجابه على العديد من الأسئلة المتعلقة بالمشاكل الاجتماعية والسياسية والدينية التي كانت تواجه البلاد. قدم المغيلي إجابات شاملة ومفصلة في رسالة، موضحًا فيها حكم الله ورسوله في القضايا التي أثارها السلطان.

خلال إقامته في غاو، بلغه نبأ مؤلم يتعلق بمقتل ابنه على يد بعض اليهود في "توات". أثار هذا الخبر قلق المغيلي، فطلب من السلطان القبض على اليهود المقيمين في غاو. لكن

القاضي محمود بن عمر أنكر هذا الادعاء وأكد أنهم لم يرتكبوا أي جريمة. رغم إصرار المغيلي على أن أهل القرية تآمروا على قتل ابنه، تراجع السلطان عن قرار القبض عليهم بعد إنكار القاضي، مما أثار غضب المغيلي.

بعد هذه الواقعة، قرر المغيلي العودة إلى "توات"، حيث توفي هناك في عام 909هـ الموافق 1503م، ويُقال إن وفاته كانت في عام 910هـ الموافق 1504م. ترك المغيلي إرثًا ثقافيًا ودينيًا عميقًا، حيث أسهمت جهوده في نشر الإسلام وتعليم اللغة العربية، مما أسس لنهضة فكرية وثقافية في المنطقة.

**مظاهر التواصل الحضاري بين منطقة توات والسودان الغربي بفضل جهود الشيخ المغيلي في نشر الإسلام ولغته**

إن لهذا العالم الجليل أثرًا كبيرًا في النهضة العلمية في بلدان السودان الغربي خلال تلك الفترة، وما رافق ذلك من تغييرات ثقافية واجتماعية وسياسية، بالإضافة إلى نشر الإسلام والدعوة الإسلامية ونبذ الكفر، مع التركيز على أهمية العلم والعلماء.

يجب علينا أن نستفيد من دور الإمام المغيلي كدرس لنشر العلم الصحيح في غرب إفريقيا، مما يسهم في تقدم بلداننا ويعيدها إلى ركب الدول المتقدمة، كما كانت قبل الاستعمار الغربي. وهنا تبرز الحاجة إلى العلماء الربانيين الذين يربّون الأمة بالقدوة الحسنة، ويحرصون على التعليم والنصيحة.

تعتبر منطقة توات مركزًا حيويًا للتواصل الحضاري بين المغرب الأوسط والسودان الغربي، حيث لعب الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي دورًا بارزًا في هذا السياق. تركزت جهود المغيلي على نشر الإسلام وتعليم اللغة العربية، مما ساهم في تغييرات ثقافية واجتماعية عميقة. فيما يلي تفاصيل هذا التواصل الحضاري مع التركيز على مساهمة تعليم اللغة العربية:

**1نشر الإسلام وتعليم اللغة العربية**

-المدارس والحلقات العلمية: أسس المغيلي مدارس وحلقات علمية، حيث كانت اللغة العربية لغة التعليم الرئيسية. ساعد هذا في توسيع نطاق التعليم الإسلامي وجعل اللغة العربية أداة لفهم التعاليم الدينية، مما عزز من قيم الهوية الإسلامية

-تعليم القرآن: كانت مراكز تعليم القرآن تعتمد على اللغة العربية كوسيلة لفهم النصوص الدينية، مما ساهم في نشر الإسلام بين جميع فئات المجتمع، وليس فقط النخبة

**2 التواصل مع الحكام**

-استشارات دينية وسياسية: تواصل المغيلي مع حكام السودان الغربي، مثل أسكيا محمد، وقدم لهم المشورة حول كيفية إدارة شؤون البلاد بما يتوافق مع التعاليم الإسلامية. ساعد هذا التواصل الحكام على تعزيز القيم الإسلامية في سياساتهم

-فتح مراكز تعليمية: استجابة لمشورته، تم إنشاء مراكز تعليمية جديدة، مما ساعد في نشر اللغة العربية وتعزيز التعليم الديني في المناطق النائية

**3الإصلاح الاجتماعي والثقافي**

-تغيير العادات والتقاليد: من خلال مشورته، تم تغيير بعض العادات التي كانت تتعارض مع التعاليم الإسلامية، مما أدى إلى تحسين الأوضاع الاجتماعية في المجتمعات

-تعزيز القيم الإسلامية: أصبح المغيلي مرجعًا في القضايا الشرعية، مما ساهم في تعزيز الهوية الإسلامية، حيث كانت اللغة العربية الأداة التي نقلت هذه القيم

**4الأثر المستدام**

-استمرار التأثير عبر القرون: استمر تأثير المغيلي في الفكر الإسلامي، حيث تأثر به العديد من العلماء في غرب إفريقيا، مما يدل على عمق تأثيره

-تأسيس حركة إصلاحي: ساهمت أفكار المغيلي في تأسيس حركة إصلاحية، كانت لها تأثير كبير على الفكر الإسلامي، حيث كانت اللغة العربية تلعب دورًا محوريًا في هذا السياق

**5 التبادل الثقافي والفكري**

-تبادل الأفكار: ساهمت الزيارات المتبادلة بين العلماء من توات والسودان الغربي في تبادل الأفكار والثقافات، مما أثرى الحياة الفكرية في كلا المنطقتين

-النهضة العلمية: أدت جهود المغيلي إلى نهضة علمية في السودان الغربي، حيث زادت العناية بالعلم والعلماء، مما ساهم في تطوير المجتمع بشكل عام

يمكن القول إن الفكر الإصلاحي للشيخ المغيلي كان له دور محوري في تعزيز التواصل الحضاري بين منطقة توات والسودان الغربي. من خلال جهوده في نشر الإسلام وتعليم اللغة العربية، وتواصله مع الحكام، وإصلاح العادات والتقاليد، استطاع المغيلي أن يترك أثرًا عميقًا ومستدامًا في تاريخ المنطقة.

وفي نهاية هه الورقة البحثية حو جهود الشيخ بن عبد الكريم المغيلي التلمساني في تعليم اللغة العربية في السودان الغربي ودوره في التواصل الحضاري بين غرب افريقيا وحاضرة توات جنوب الجزائر، وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

**أولاً - النتائج الرئيسية**:

**.1**مثّل المغيلي جسراً حضارياً بين ضفتي الصحراء من خلال:

- تأسيس شبكة علمية ربطت بين علماء توات وعلماء السودان الغربي
- إنشاء مراكز علمية في كانو وكاتسينا وأغاديس
- تبادل المخطوطات والكتب بين الشمال والجنوب

**.2**ساهم في تطوير النظم السياسية والإدارية عبر:

- تقديم النصح للسلاطين والأمراء
- تأليف كتب في السياسة الشرعية

- المساهمة في تنظيم التجارة عبر الصحراء

.3أسس لنموذج تواصل ثقافي متكامل من خلال:

- توحيد المرجعية العلمية والفكرية
- نشر اللغة العربية كلغة مشتركة للتواصل
- تعزيز التبادل المعرفي بين المناطق

**التوصيات**:

.1إنشاء مركز دراسات متخصص في التواصل الحضاري عبر الصحراء

.2إحياء المسارات التاريخية للتواصل العلمي بين شمال وغرب إفريقيا

.3تشجيع الدراسات البينية حول دور العلماء في التواصل الحضاري

**الآفاق المستقبلية للبحث**:

-دراسة أثر شبكات التواصل العلمي التي أسسها المغيلي

-تتبع امتداد مدرسته الفكرية في مناطق السودان الغربي

-تحليل دور القوافل التجارية في دعم التواصل العلمي والثقافي

يمكن القول إن المغيلي نجح في تأسيس نموذج فريد للتواصل الحضاري عبر الصحراء، جمع بين التعليم والسياسة والتجارة، وأسهم في خلق فضاء ثقافي موحد بين منطقتي توات والسودان الغربي، مما جعل تجربته نموذجاً **يُحتذى في التواصل الحضاري بين الشعوب.**

**خاتمة**

في ضوء ما تقدم، يتّضح جليًا أن الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي قد اضطلع بدور محوري في ترسيخ حضور اللغة العربية في فضاء السودان الغربي، ليس فقط بوصفه عالِمًا ومصلحًا دينيًا، بل كمثقف عضويّ ساهم في بناء الوعي اللغوي والديني والحضاري في بيئة متعددة الأعراق واللغات. فقد مثلت جهوده في هذا المجال نموذجًا متميزًا لانتقال المعرفة والتثاقف عبر الحدود الجغرافية، مستندًا في ذلك إلى حاضنة

علمية وثقافية متينة تمثلت في حاضرة توات جنوب الجزائر، التي شكلت، خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، ملتقىً علميًا ومركزًا استراتيجيًا لعبور الأفكار ونقل العلوم بين شمال إفريقيا وعمقها الإفريقي.

وقد أظهرت الدراسة أن المغيلي لم يكن فاعلًا معزولًا، بل جاء ضمن سياق حضاري متكامل ساهمت فيه توات بمكانتها العلمية والاقتصادية، ما جعلها حلقة وصل بين المشرق والمغرب ووسيطًا لنقل اللغة العربية إلى أقاليم السودان الغربي، من خلال التعليم والفتوى والكتابة. وهو ما تجلى في آثاره المكتوبة، وفي تلامذته، وفي البُنى التعليمية التي أسهم في تشييدها أو تنشيطها.

تُبرز هذه النتائج أهمية إعادة قراءة التراث الثقافي والعلمي للمنطقة من منظور تفاعلي تتقاطع فيه الجغرافيا بالدين، واللغة بالسلطة، والمعرفة بالتاريخ. كما تفتح هذه الدراسة آفاقًا واعدة أمام الباحثين لمزيد من التنقيب في الأرشيفات المحلية والمخطوطات النادرة التي قد تكشف عن مزيد من الأبعاد الخفية في مشروع المغيلي الإصلاحي والتعليمي.

وعليه، توصي الدراسة بتوسيع دائرة البحث في دور الحواضر الصحراوية الأخرى – إلى جانب توات – في نشر اللغة العربية، واستقصاء شبكات العلماء والدعاة الذين عملوا ضمن الفضاء الممتد بين الجزائر، ومالي، والنيجر، وتشاد، وبوركينا فاسو. كما تقترح دراسة مقارنة بين جهود المغيلي وغيره من العلماء المغاربيين الذين كانت لهم إسهامات مماثلة، لتكوين صورة أشمل عن مسارات تعريب الفضاء الإفريقي في حقبة ما قبل الاستعمار الأوروبي.

إن استحضار سيرة المغيلي وجهوده في نشر العربية، ليس فقط إحياءً لرمز من رموز الفكر الإصلاحي المغاربي، بل تأكيد على أن اللغة كانت – وما تزال – أداة مركزية في بناء الوعي الجمعي، ووسيلة فعالة لنقل الدين، وتوطين العلم، وتحقيق التواصل بين الشعوب.

## 5. قائمة المراجع:


ابراهيم ,ع .ا .(2008) .*الموسوعة الثافية التاريخية الارثية والحضارية الاسلام والمكسلمون في شمال افريقيا واسيا وانتشار الاسلام* .القاهرة :دار الفكر.

افريقيا ,م .ب .(2023) .*مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية*)العدد .167 ,(2

التنبكتي ,ا .ب .(.s.d) .*نيل الابتهاج بتطريز الديباج*.

الدالي ,ا .م .(1999) .*التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا في ماوراء الصحراء من 15م -الى 18م* . القاهرة :الدار المصرية اللبنانية.

الرحمان ,ب .ع .(2013) .*حملة المغيلي على يهود توات وأثرها على الواقع الحرفي في المنطقة* .مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية.

الصاوي ,ك .م .(200) .*تاريخ المسلمين في شمال افريقيا ومشكلاتهم* .الاسكندرية :مؤسسة شباب الجامعة.

خالدي ,م .(2002) .*الجاليات العربية والبربرية في افريقيا جنوب الصحراء بين القرنين الخامس والعاشر هجريين الحادي عشر والسادس عشر ميلادي*.

روكز ,ي .(1987) .*افريقيا السوداء سياسة وحضارة* .بيروت :المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

مقدم ,م .(2002) .*الشيخ بن عبد الكريم المغيلي وأثره الاصلاحي بامارات وممالك افريقيا الغربية خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر الهجري* .(Vol)ج .(1الجزائر :دار الغرب للنشر والتوزيع.

يحي ,ا .ا .(.s.d) .*المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقيا والاندلس* .بيروت :دار الغرب الاسلامي.